مجلة قبس للبحوث والدراسات الشرعية / العدد 8/ 2021م ـ ISSN:2710-379X

# ابن حزم واعتراضاته على مزاعم النصارى في الألوهية

**محمد اوحيدة أحمد اوحيدة**
**الأكاديمية الليبية ـ مصراتة ـ ليبيا**
Iwhida63@gmail.com

تاريخ التقديم: 2021/09/14 تاريخ القبول: 2021/10/24 تاريخ النشر: 2021/11/23

## مقدمة

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه، وأصلي وأسلم على سيدنا مُحَّد ﷺ، وعلى رسل وأنبياء الله أجمعين، وعلى آل رسول الله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد :

الدين أبرز محرك روحي للإنسان، وفي دراسته فهما للحضارات والثقافات، واستيعابا لقيمها ومبادئها، وهذا الفهم والاستيعاب لا يتم إلا من خلال دراسة الأديان دراسة شاملة وموضوعية؛ فدراسة الأديان أمر ذو أهمية بالغة، وبخاصة في هذا العصر الذي أصبح فيه التواصل والحوار مع الآخر ضرورة ملحة، وبالتالي أصبحت معرفة دين الآخر من أولويات التعايش المشترك بين الناس، سواء على مستوى المجتمع الواحد والدولة الواحدة، أو على مستوى المجتمعات والدول.

والحاجة لدراسة الأديان تكون ذات أهمية أكثر تجنبا للفهم الخاطئ للآخر؛ فدراسة الأديان دراسة علمية ومنهجية تسهم في تعميق الشعور بالتنوع والتعددية والاختلاف، وقبول الآخر على اختلاف المعتقد والحضارة والعرق.

وهذا الأساس لا يمنع من نقد الأديان نقدا موضوعيا، وهو ما يحاول هذا البحث القيام به من خلال مسألة عقدية مضمونها أن الله سبحانه وتعالى أنزل على عيسى –عليه السلام– الإنجيل مصدقاً للتوراة التي جاء بها موسى –عليه السلام–، فدعا إلى إصلاح العقيدة التي حرفها بنو إسرائيل، وبشَّر بملكوت الله الذي يعني الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وأن الحياة الدنيا هي دار عمل وفناء وليست دار خلود وبقاء، وأيده الله سبحانه وتعالى بمعجزات عدة، وفي القرآن الكريم جاء ذكر تلك المعجزات ابتداءً بمعجزة مولده ونطقه في المهد، وانتهاءً برفع الله له عليه السلام.

## أهمية البحث:

1/ توضيح أن العقيدة التي تعني توحيد الله هي أهم ما في الكون على الإطلاق؛ وأن رسالة الرسل والأنبياء جميعا كان محورها الدعوة إلى إخلاص العبودية لله تعالى بتوحيده ونفي الشركاء عنه.

2/ معرفة مسألة من أخطر المسائل في الإيمان المسيحي وهي ما يعرف بالتثليث، والوقوف على هذه المزاعم وتفنيدها بالتركيز على ما أورده ابن حزم.

3/ بيان أهمية كتابة الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم في معرفة الطريق العلمية لدراسة الأديان ونقدها.

## أهداف البحث:

1/ عرض الآراء والأفكار المتعلقة بعقيدة النصارى إجمالا، وموقف الإمام ابن حزم من مسألة التثليث عند النصارى.

2/ بيان وشرح وتحليل القواعد العلمية والعملية التي انتهجها ابن حزم في الرد على مزاعم النصارى في مسألة التثليث.

3/ إبراز نموذج من الفكر الإسلامي في منهجية الرد على أصحاب العقائد الباطلة، وكيفية تطوير هذه المنهجية.

## إشكال البحث:

سنحاول في هذا البحث الإجابة عن السؤال الرئيس:

ما الأسس التي اعتمد عليها ابن حزم في تفنيد شُبه النصارى، وبيان تحريفهم لما جاء به نبي الله عيسى –عليه السلام–؟ والذي يتفرع عنه الأسئلة الفرعية:

1- ما أبرز المسائل التي تناولها ابن حزم في معرض نقده لمزاعم النصارى عن التثليث؟

2- ما أهم المناهج والأدلة التي استخدمها ابن حزم ووظفها في الرد على النصارى؟

3– ما مدى الاستفادة من منهج ابن حزم في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–؟

## منهج البحث:

سأستخدم إن شاء الله كلًّا من: المنهج التاريخي، والاستقرائي، والتحليلي، وفقا للسياق العام لكل مسألة تثار في البحث.

## خطة البحث:

ينقسم هذا البحث إلى: مقدمة ومبحثين وخاتمة، وعلى النحو المذكور تفصيلا في متن البحث.

# المبحث الأول: المسيحية وانحرافاتها العقدية

ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ المطلب الأول ونستعرض فيه نشأة المسيحية، والمطلب الثاني سنتناول فيه انحراف العقيدة المسيحية.

## المطلب الأول: عرض تاريخي لنشأة المسيحية

النصارى هم أتباع عيسى بن مريم -عليه السلام- الذين آمنوا به من بني إسرائيل، حيث ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:﴿فَلَمّا أحَسَّ عِيسى مِنهُمُ الكُفْرَ قالَ مَن أنْصارِي إلى اللَّهِ قالَ الحَوارِيُّونَ نَحْنُ أنْصارُ اللَّهِ آمَنّا بِاللَّهِ واشْهَدْ بِأنّا مُسلِمُون﴾[1]، وكلمة النصرانية صفة مشتقة من بلدة (الناصرة) في فلسطين التي عاش فيها عيسى -عليه السلام-[2]، بينما يذكر ابن كثير إنها مشتقة من المناصرة بمعنى التأييد والمساندة: "وهكذا.. عيسى ابن مريم انتدب له طائفة من بني إسرائيل، فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه"[3].

وفي مرحلة لاحقة أُطلق على هذا الدين اسم المسيحية نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم، وقد أُختلِف في سبب تسميته بالمسيح؛ يقول ابن كثير: "قال بعض السلف: لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى"[(4)]، وورد إن كلمة المسيح كناية عن التعظيم عند بني إسرائيل، والذي يعني مسح رأس الإنسان بالزيت المقدس ويسمى (ماشيَّح) أو (مسيا) أي الممسوح بالزيت، فيكون عيسى بذلك ممسوحا بالزيت المقدس[5].

إن ما جاء به عيسى -عليه السلام- رسالة توحيدية تدعو إلى عبادة الله وحده، ومكملة لرسالة موسى -عليه السلام-، ومُتمِّمة لما جاء في التوراة من تعاليم، وهي رسالة موجهة إلى بني إسرائيل لدعوتهم إلى أصول العقائد التي جاء بها الأنبياء والرسل جميعاً، لكنها تعرضت للتغيير والتحريف بعد أن رفع الله عيسى -عليه السلام-، وتفرق أصحابه من بعده، مما جعلها تبتعد عن

1 سورة الصف، الآية: 14.
2 ينظر: موسوعة الدرر السنية على الرابط: https://dorar.net/adyan/337/
3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي محمد السلامة، 46/2.
4 المرجع نفسه، 47/2.
5 ينظر: سفر صموئيل الأول، إصحاح: 10، عدد: 1.

مسارها الأصلي، وبالأخص عندما اعتنق المسيحية إمبراطور روما (قسطنطين) في أواسط القرن الرابع الميلادي، وجعلها ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية[1].

والنصرانية كما يخبرنا القرآن الكريم ديانة توحيدية، تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتقرر أن المسيح –عليه السلام– بشر وُلد بمعجزة، وأرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل كما أرسل رسلاً من قبله، قال تعالى: ﴿مّا المسِيحُ ابنُ مَريَمَ إِلَّا رَسُول قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدّيقَة كَانَا يَأكُلَانِ الطَّعَامَ أُنظُر كَيفَ نُبَيّنُ لَهُمُ الآيات ثُمَّ أُنظُر أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾[2]، وأن الإرهاصات التي سبقت بعثته والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد رسالته هي من نوع الإرهاصات والمعجزات التي يؤيد الله تعالى بها رسله وأنبياءه، وأن خلقه بلا أب ليس إلا إرهاصاً من هذه الإرهاصات، وأن أمه صديقة من البشر قد كرمها الله فنفخ فيها من روحه فحملت بالمسيح[3].

وكانت عائلة المسيح – عليه السلام– معروفة بالورع والتقوى؛، فقد كان عمران جد عيسى (لأمِّه بطبيعة الأمر) أحد عظماء بني إسرائيل، وكانت زوجته عاقراً لا تلد، فنذرت لله تعالى إن حملت تجعل ولدها محرراً، أي خادما لبيت الله، وكان نذرها على فرض الذكورة، فلما وضعتها أنثى جددت العزم على الوفاء بنذرها ولو كانت أنثى[4]، وقد كفلها زكريا –عليه السلام– الذي هو زوج خالتها، فنشأت تحت رعايته مطهّرة بعيدة عن المعاصي والآثام، وكان الله يمن عليها الرزق من غير جهد ولا مشقة حتى أثار ذلك زكريا – عليه السلام– بسؤالها عن مصدر رزقها[5]، وقد ذكر القرآن الكريم هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[6].

وكان لنشأة مريم الصالحة حكمة بالغة، فاصطفاها الله وجعلها أماً لمن يولد من غير نطفةٍ بشرية، ليكون آية على قدرة الله سبحانه وتعالى، وقد خصص القرآن الكريم سورة باسمها (سورة

1 ينظر: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، سيد أحمد علي الناصري، ص: 441 وما بعدها.
2 سورة المائدة، الآية: 77.
3 ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري؛ مُحَمَّد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، 444/6.
4 ينظر: المرجع نفسه، 333/6.
5 ينظر: المرجع نفسه، 358/6.
6 سورة آل عمران، الآية: 37.

مريم)، وسورة باسم عائلتها (سورة آل عمران) كرامةً لهم ورفعاً لشأنهم[1].

تلقى اليهود دعوة المسيح –عليه السلام– بالرفض الشديد وكانوا أول المحاربين له، ولم يؤمن به إلا القليل منهم؛ ذلك أن أحبار اليهود كانوا قد جعلوا من المسيح الذي بشّر به موسى مسيحاً سياسياً يبسط سلطان بني إسرائيل على العالم أجمع، إلا أن دعوة عيسى عليه السلام لم تكن تتعرض للسياسة، بل كانت إصلاحاً دينياً وخُلقياً، فنتيجة لذلك حاول الأحبار منع الناس عن قبول دعوته عليه السلام، ثم قاموا بتحريض الرومان الذين كانوا هم السلطة الحاكمة في هذا الإقليم على عيسى عليه السلام، لكن الرومان لم يلتفتوا بدايةً لتحريضهم لعدم اكتراثهم للخلافات الدينية بين اليهود، فازداد افتراءهم وذكروا بأنه يحاول التمرد على الحاكم الروماني نفسه، مما جعله يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم بإعدامه صلباً[2].

ويوضح القرآن الكريم أن الله جلت قدرته لم يمكّنهم من القبض عليه وقتله، بل رفعه إليه، وألقى شبهه على غيره، فصلبوا ذلك الشبيه ظناً منهم أنه المسيح، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[3]. ذكر ابن جرير فيمن ألقي عليه الشبه قولين، الأول: أن الشبه ألقي على جميع أصحابه، والثاني: أن الشبه أُلقي على رجل من أصحابه حين سألهم ذلك، واختار ابن جرير الأول[4]، وذكر ابن الجوزي قولاً ثالثاً، وهو أن الذي ألقي عليه الشبه بعض من أراد قتله من اليهود[5]، بينما يعتقد المسيحيون أن المسيح صُلب، وأنه دُفن بعد صلبه في قبر، وبعد ثلاثة أيام قام في يوم الفصح، ومكث أربعين يوماً، ثم ارتفع بعدها إلى السماء أمام تلاميذه الذين اختارهم لنشر النصرانية والكرازة بها[6]، وقال لهم: "اذهبوا إلى العالم واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"[7]،

1 ينظر: تفسير الرازي، الفخر الرازي؛ مُحَمّد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي، 43/8 وما بعدها.

2 ينظر: المرجع نفسه، 52/8 وما بعدها.

3 سورة النساء، الآية: 156-157.

4 ينظر: الطبري، 12/6 وما بعدها.

5 ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن مُحَمّد الجوي القرشي البغدادي، 244/2.

6 الكرازة مصطلح يراد به الوعظ والتبشير بالتعاليم المسيحية. ينظر: قاموس الكتاب المقدس على الرابط:
https://st-takla.org/Coptic-Search-St-Takla.org/site_search.php?q=%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D8%A7%D8%B2%D8%A9&op=and

7 سفر مرقص، إصحاح: 16، عدد: 15.

وعمّدوهم[1] باسم الأب والابن والروح القدس.

وعندما رفع الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام قرر الحواريون تنفيذ وصايا المسيح عليه السلام وإكمال رسالته، وتطبيق ما جاء في التوراة، وسميت هذه المجموعة بكنيسة القدس (أورشليم)، والكنيسة في ذلك الوقت يقصد بها التجمع أو جماعة المدعوين، فلم تكن مبنى للعبادة كما يفهم من المصطلح المتداول، بل تعبير مجازي عن اجتماع الحواريين ودعوتهم وكرازتهم[2].

1 التعميد: طقس مسيحي يعد بمثابة الطهارة، ويكون إما بالغطس في الماء، أو يكتفى بمجرد رش الماء، ويشترط أن يكون على يد (رجل دين-بالمفهوم المسيحي-)، وهو إشارة للدخول في ملكوت المسيح حسب قواعد الإيمان المسيحي. ينظر: قاموس الكتاب المقدس على الرابط:

https://st-takla.org/Coptic-Search-St-Takla.org/site_search.php?q=%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%85%D9%8A%D8%AF&op=and

2 ينظر: المرجع نفسه.

## المطلب الثاني: انحراف العقيدة المسيحية.

لقد ظهرت –بعد رفع المسيح عليه السلام– شخصية كان لها الأثر الأبرز في ما وصلت إليه العقيدة المسيحية إلى يومنا هذا، وهي شخصية (بولس)، فقد أثَّرت أفكاره في تصوير العقيدة المسيحية على ما آلت إليه من البعد عن التوحيد[1]، ولذلك يُجلُّه المسيحيون ويرفعون مكانته إلى درجة أنهم يعدونه رسولاً، بينما هو في حقيقة الأمر المسئول الأول عن تبديل ما جاء به عيسى عليه السلام وتحريفه بما في ذلك مسألة التثليث[2]، وبالنظر للتأثير الجوهري لفكر (بولس) في المسيحية، فسوف نخصص له جانبا من بحثنا لارتباطه بفكرة البحث، وهي مسألة التثليث وكيف رد ابن حزم عليها.

تثبت الحقائق التاريخية أن (بولس) لم ير المسيح في حياته، إلا أنه يصر على أنه تلقى التعليمات من المسيح نفسه بما يجعله رسولا ملهما –حسب زعمه–، وأن كل ما يصدر عنه من أقوال هو إلهام ووحي، ولم يقدم (بولس) أي دليل على ادعائه، كما تتضح في رسائله العديد من التناقضات ما دفع الكثير من الباحثين الغربيين إلى التشكيك في صدقه[3].

ومن أبرز الأفكار العقدية التي أدخلها بولس في المسيحية تعميم الدعوة المسيحية وإخراجها من إطارها الذي يخص بني إسرائيل إلى كونها رسالة عالمية، وهذا يناقض تعاليم المسيح الواردة في الإنجيل التي تفيد حصر رسالته في بني إسرائيل[4]، كذلك إلغاء شريعة موسى عليه السلام؛ فلكي يسهل عليه التبشير بالمسيحية بين الوثنيين، ألغى الكثير من تعاليم المسيح الذي يقول: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس [الشريعة]، ما جئت لأنقض بل لأكمل"[5]، كذلك عقيدة الخطيئة الموروثة وتجسد الابن وصلبه فداءً للبشرية؛ حيث أسس بولس لاهوتاً قائماً على فكرة أن كل إنسان يرث خطيئة آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة، ولا شيء ينجي من العذاب الأبدي إلا موت ابن الإله ليكفّر بموته عن خطيئته، وهو أول من فسر عملية الصلب على أنها للفداء وتكفير الخطايا، مع أنها لم تكن واردة عند كتبة الأناجيل الأربعة المعتمدة[6]، وكذلك من ادعاءاته أنه نسب إلى المسيح

1 ينظر: الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب، محمَّد الكتاني، ص: 102.
2 ينظر: الإسلام والأديان: دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، ص:183.
3 ينظر: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، ص: 99.
4 ينظر: سفر متّى، إصحاح: 10، عدد: 5- 6.
5 سفر متى، إصحاح: 5، عدد: 17.
6 ينظر: دراسات في الأديان الوثنية القديمة، أحمد عجينة، ص:384.

ألقاباً من بينها: ابن الله، وصورة الله، والمخلص، والفادي، وكل ما كان يُستخدم من ألقاب للمسيح بالمعنى المجازي أطلقها بولس بالمعنى الحقيقي، كلقب الرب الذي أطلقه أتباع المسيح عليه بمعنى السيد والمعلم فأصبح له معنىً حقيقياً عند بولس[1].

والمسألة الأكثر أهمية والتي كان بولس رائدها ومبتكرها، والتي هي مدار هذا البحث؛ مسألة التثليث، فرغم اعتراف المسيحيين بأن بولس لم يعط تعليماً واضحاً عن التثليث، إلا أنه تعرض لذكر الأب، وذكر الابن تارة على أنه إله، وتارة في منزلة دون ذلك، أما الروح القدس فلم يوضح ما يتعلق به سوى أنه روح، أي أنه تيار قوي غير طبيعي يؤثر في الناس، ولم يذكر ألوهيته وانبثاقه من الأب، ويرى (موريس بوكاي) أن التلاميذ اعتبروا بولس خائناً لفكر المسيح، حيث كوّن المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح لنشر تعاليمه[2].

وازدادت مظاهر الشرك والانحراف في معتقدات أتباع المسيح بمرور السنين متأثرة بأفكار (بولس)، وأحياناً بفلسفات اليونان والهنود، وأحياناً بسبب الاختلاط بأصحاب الأديان والمعتقدات التي كانت سائدة ومنتشرة في البلاد التي تم فيها التبشير بالمسيحية، وفي ذات الوقت كان أتباع المسيح في حياته يتعرضون للاضطهاد من زعامات اليهود الذين رفضوا دعوة المسيح عليه السلام، وبعد أن رفع الله المسيح عليه السلام تعرض المسيحيون الأوائل للاضطهاد من قبل الرومان، ونزل بهم بعد رفع المسيح بلايا وكوارث، وقُتِل منهم الكثير، وتشردوا في بقاع الأرض[3].

وفي القرن الرابع الميلادي تغيرت الأحوال باعتلاء الإمبراطور (قسطنطين) العرش في الإمبراطورية الرومانية، فسمح لهم بحرية المعتقد[4]، والذي يعد أول من اخترع لهم شارة الصليب، حيث زعم أنه رأى في السماء صورة صليب من ذهب، وملَك يقول له: إن كنت تريد غلبة أعدائك فاجعل هذه الصورة علامة قدامك، فإنك غالب بها جميع أعدائك[5]، وانتهت مرحلة معاناة النصارى بالمجمع الذي عقده الإمبراطور (قسطنطين) إمبراطور روما في مدينة (نيقية) عام 325م[6]، وهو

1 ينظر للمزيد: سفر أعمال الرسل، إصحاح: 20، عدد: 28-33.

2 ينظر: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، ص: 101.

3 ينظر: قصة الحضارة، وول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، مجلد1، ج2، ص: 243.

4 ينظر: المرجع نفسه، مجلد1، ج2 ، ص: 385.

5 ينظر: الأجوبة الفاخرة، القرافي؛ شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي، ص: 161.

6 المجمع في الاصطلاح الكنسي هو مجلس يعقده الرسل أو خلفاؤهم للمداولة في قضايا دينية مركزية وتقريرها، وتعتبر قراراته أحكاماً صادرةً من الله وملهَمة عبر الروح القدس، فلا يجوز رفضها لأنها معصومة، ومن يخالفها يُحرم من الإيمان ويفصل من

تجمع حاسم صدر فيه القرار الشهير المتعلق بالإيمان المسيحي في ما عرف بالأقانيم الثلاثة[1]: (الأب والابن وروح القدس)[2]، والتي تعني تساوي الأقانيم الثلاثة دون التركيز على الجانب الإلهي أو الجانب الإنساني في المسيح، فـ (الأب والابن والروح القدس) أشياء ثلاثة متساوية، وتم التعبير عنها بالوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة[3]، وبذلك رسخت عقيدة التثليث وتم إعلانها رسميا، يقول ابن خلدون: "ثم عندما وقع الاختلاف بينهم في قواعد الدين وعقائدهم اجتمعوا بنيقية أيام قسطنطين لتحرير الحق في الدين، فاتفق 318 من أساقفتهم على رأي واحد في الدين فكتبوه وسمُّوه (الإمام)، وجعلوه أصلاً ومرجعا أو مرجعية يرجعون إليه للبت في أمورهم وقضاياهم، وحسم جدلهم وخلافاتهم"[4].

وقد صدر في هذا المجمع قانون الإيمان المسيحي بقراراته الثلاثة الشهيرة وهي: القرار الأول: إثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث، والقرار الثاني: تكفير (آريوس) وطرده، وهو الأسقف الذي كان ينادي ببشرية السيد المسيح عليه السلام، والقرار الثالث: إحراق جميع الرسائل والكتب التي لا تؤمن بالتثليث، أو التي تقر ببشرية المسيح، ثم انعقد مجمع القسطنطينية عام 381م انتهى فيه إلى تقرير ألوهية روح القدس وأنه الرب المحيي[5]، وبهذا تم تثبيت مسألة التثليث في العقيدة المسيحية في صورتها النهائية.

---

الكنيسة، والمجامع نوعان: الأول مجامع عامة (مسكونية): أي تشمل كل الأرض المسكونة وتجمع رؤساء الكنائس من جميع أنحاء المعمورة، والثاني مجامع محلية (إقليمية): وهي تخصُّ إقليماً أو طائفة بعينها. ينظر: قاموس الكتاب المقدس على الرابط:
https://st-takla.org/Coptic-Search-St-Takla.org/site_search.php?q=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%85%D8%B9&op=and

1 اختلفت الآراء في معنى كلمة (أقانيم)، وفي هذا المقام نختصر للقارئ فنقول: في معاجم اللغة فإن (أقانيم) جمع، ومفرده (أقنوم) ويعني: الجوهر والأصل، واصطلاحا في اللاهوت المسيحي الأقانيم هي: أركان الثالوث الأقدس عند النصارى (الأب والابن والروح القدس). ينظر: قاموس الكتاب المقدس، منشور على الربط:
https://st-takla.org/Coptic-Search-St-Takla.org/site_search.php?q=%D8%A7%D9%82%D9%86%D9%88%D9%85&op=and

2 ينظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خيّاط، ص: 81.

3 ينظر: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، حسن حنفي، ص: 171، منشور على الرابط:
http://www.maktbtna2211.com/book/15533

4 تاريخ ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون؛ عبدالرحمن بن مُحَّد الحضرمي، ج1، ص: 33.

5 الميزان في مقارنة الأديان، مُحَّد عزت الطهطاوي، ص: 148.

# المبحث الثاني: ابن حزم واعتراضاته على مزاعم النصارى

سوف نقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ المطلب الأول ونتكلم فيه إجمالا عن ابن حزم وكتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، ثم نتناول في المطلب الثاني اعتراضات ابن حزم على مزاعم النصارى في مسألة التثليث، مشفوعة بدراسة وتحليل لهذه الردود، ومدى الاستفادة من هذه المنهجية في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

## المطلب الأول: ابن حزم وكتابه الفِصَل في الملل والأهواء والنحل

نشير إلى أن سبب التركيز على كتاب الفِصَل في الملل والأهواء والنحل دون غيره من كتب ابن حزم أنه الكتاب المنهجي الأبرز لابن حزم في الذي تناول مسألة التثليث والرد عليها بعمق وتحليل مع إيراد الأدلة العقلية والحسية التي انتهجها في معرض ردوده على مزاعم النصارى في الألوهية.

وقبل أن نتطرق لاعتراضات ابن حزم على مزاعم النصارى في مسألة التثليث، نقدم لابن حزم ونذكر لمحة موجزة عنه؛ فأصله من فارس، ولد عام 384هـ/994م في قرطبة [اسبانيا حاليا]، وعاش حياته الأولى في قصر أبيه الذي كان أحد وزراء الخليفة المنصور ابن أبي عامر وابنه المظفر من بعده في عهد الخلافة الأموية في الأندلس[1].

عانى ابن حزم من الفتنة التي عرفتها قرطبة، ثم ترك قرطبة واستقر بمدينة ألمريّة، وكان مشغولاً بهاجس السياسة وإعادة الخلافة للأمويين، ولقي من جراء ذلك عذابًا كثيرًا؛ فظل يعاني النفي والتشريد بعيدًا عن قرطبة، ويحن للعودة إليها، ولما سقطت الخلافة الأموية نهائيًا بالأندلس وزالت دولة الأمويين، قرر الابتعاد عن السياسة والتفرغ للعلم والكتابة والتأليف[2].

كان ابن حزم موسوعة علمية، واسع الاطلاع والعلم، حافظا لكتاب الله وملما بعلومه، عارفا بالسنة المطهرة، وآثار الصحابة ﷺ، مدركا لكثير من المعارف، فلا يكاد يوجد علم من العلوم ولا فن من الفنون إلا وقد طرقه وبرع فيه، "وله [ابن حزم] من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر، ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال، والتعظيم

1 ينظر: الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم؛ أبو محمد علي بن أحمد، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة، المقدمة، ج1، ص: 3.

2 ينظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، 92-897هـ 711-1492م، عبدالرحمن علي الحجي، ص: 39.

لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره"[1]، ويتبين ذلك من خلال مصنفاته وكتبه التي تركها، وما ذكره العلماء والمؤرخين عنه، وكتب مؤلفات مفيدة في مختلف فروع المعرفة، وقد صنف كتبًا كثيرة بلغت قرابة أربعمائة كتابا ورسالة[2]، مع أن كثيرا من كتبه أُحرقت في حياته لشدته على المخالفين له، كذلك فقد ناصبه الكثير العداوة وقاوموه وشنعوا عليه، ومن أشهر كتبه: الفِصَل في المِلَلْ والأهواء والنِّحَل، وطوق الحمامة، وجمهرة أنساب العرب، ونقد مراتب الإجماع، ورسالة في بيان فضل الأندلس وذكر علمائه، والإمامة والخلافة، والأخلاق والسير في مداواة النفوس، والمحلّى بالآثار، والإحكام في أصول الأحكام، وغيرها الكثير من الكتب والمؤلفات والمصنفات[3]، وتوفي –رحمة الله عليه– عام456هـ/1064م في قرية (منت ليشم) من نواحي الأندلس [اسبانيا حاليا][4].

## ملامح عامة لكتاب الفِصَّل في الملل والأهواء والنحل:

حوى كتاب الفِصَل في الملل والأهواء والنحل بيانات ومعلومات وفيرة عن الملل والنحل والفرق، واعتمد ابن حزم على منهج التقرير والنقد؛ بمعنى أنه لا يكتفي بمجرد الوصف وعرض الآراء، ولكنه اتخذ نهج التحليل والنقد، فيقدم وصفا عن الفرقة أو الطائفة ثم يقوم بنقدها، ولهذا يعد هذا المصنف أول دراسة نقدية موضوعية للأديان عموما، والأديان السماوية بالأخص؛ لأنه شرح نصوصها وكشف تناقضاتها، كما يعد مختلفا عن الكتب والمصنفات التي تناولت الفرق والطوائف من حيث الاستدلال والترتيب والمصادر، وتقسيم الفرق والطوائف والملل والنحل[5]، ويظهر من خلال هذا الكتاب اهتمام ابن حزم بالقضايا الفلسفية أيضا، لذلك نجد الحديث كثيرا عن الفلاسفة والقضايا الفلسفية[6].

والباعث على تأليف هذا الكتاب كما ذكر ذلك ابن حزم في مقدمة الكتاب أنه قصد به إيراد البراهين الناتجة عن المقدمات الحسية، أو الراجعة إلى الحس من قرب أو من بعد؛ بمعنى أنه يرجع إلى المقدمات اليقينية التي ترجع إلى الحواس الخمس، ثم يوضح ذلك فيؤكد أن الأدلة اليقينية لا تقتصر

1 مجموع الفتاوى، ابن تيمية؛ تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن مُحَّد بن قاسم، 19/4، 20.

2 ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، مُحَّد بن فتوح أبو عبد الله بن أبي نصر، ص: 308.

3 ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، ص: 70 وما بعدها.

4 الذهبي؛ شمس الدين مُحَّد بن أحمد سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط، ج 18، ص: 186.

5 ابن حزم: حياته وعصره.آراؤه وفقهه، مُحَّد أبو زهرة،، ص:111.

6 ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، ص: 90.

على مسائل الإسلام والمسلمين، لكن في الاحتجاج على أهل الديانات ممن لا ينتسبون إلى الإسلام أصلًا، وهنا يُحتاج إلى الأدلة العقلية والحسية؛ لأنهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم أصلًا، ولا بالسنة النبوية، ولذلك فإنهم يخاطبون بالعقل والحس[1].

والطريقة التي سلكها في ترتيب الكتاب أنه تكلم عن أهل الملل والنحل المخالفة للإسلام، ورتبهم على حسب بعدهم عن الإسلام حيث بدأ بالأبعد فالأبعد—حسب رؤيته–، ثم ذكر فيه أهل النحل المنتسبة إلى الإسلام، مراعيًا في الأغلب الأبواب التي اختلفوا فيها، ثم خصص قسما من الكتاب للحديث عن بعض الموضوعات العامة مثل: المعجزات، الجن، النجوم، الجواهر، الأعراض، وغير ذلك من المسائل المتعلقة بالعقائد.

وابن حزم مع شدته في الردود والمناقشات إلا أنه كان أكثر موضوعية، فكان نقده يميل إلى العلمية والموضوعية، وإن كان في مناقشاته تظهر جليا نبرة التحدي والاعتداد بالنفس، والتصميم على ما يرى أنه صوابا[2].

ويمتاز الكتاب بعنايته في بيان الحق لا سيما في بيان أن الدين عند الله الإسلام، وإثبات نبوة مُحَّد ﷺ، وسلامة القرآن الكريم بحفظ الله له، وهو يكثر من الأدلة النقلية وبالأخص من القرآن الكريم كما يذكر وجه دلالتها، كذلك تمتاز عبارته بالوضوح والسهولة، ويعتني بنسبة الأقوال إلى أصحابها مع الإسناد في معظم الحالات، وإن كان يؤخذ عليه أنه في بعض الأحيان لا يذكر مصدر القول الذي نقله[3].

وكتاب (الفِصَل في الملل والأهواء والنحل) عموما هو كتاب جامع وموسوعة عن الملل والفرق والنحل؛ حيث عرض فيه لمختلف الفرق الإسلامية، وللأديان عموما، وللديانتين اليهودية والنصرانية بالأخص؛ ومن أهم ما تناوله هذا الكتاب على سبيل المثال: عدد فرق أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والأناجيل الأربعة وما فيها من التناقض والتحريف، وفرق أهل الإسلام، والقرآن الكريم وإعجازه، والقضاء والقدر، والاستطاعة، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، والوعد والوعيد، والأنبياء والرسل، والملائكة، والشفاعة، والميزان، والمعجزات، والجن، والطبائع، والبقاء والفناء، والحركة

1 ينظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج: 1، ص: 36.
2 ينظر: إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الحموي؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، ج: 4، ص: 654.
3 ينظر: الفكر التاريخي في المغرب الإسلامي، محمود إسماعيل، ص:91.

والسكون، والجواهر والأعراض، والجسم والنفس.

ومن المسائل التي كتب عنها ابن حزم في مصنفه (الفِصَل في الملل والأهواء والنحل) موضوع بحثنا وهو اعتراضات ابن حزم على مزاعم النصارى، والذي سنتناوله تفصيلا في المطلب التالي.

# المطلب الثاني
# اعتراضات ابن حزم على مزاعم النصارى في مسالة التثليث

يقوم الإيمان المسيحي إجمالا على أن الإله ثلاثة أقانيم: (الأب والابن والروح القدس)، ويزعمون إن الأقنوم الأول هو الأب، وهو والد الأقنوم الثاني، وهو مكون الكائنات، والأقنوم الثاني هو الابن، وهو ولد الأقنوم الأول، وهو المخلص من الخطيئة، والأقنوم الثالث هو الروح القدس، ويصدر عن ركني التثليث الآخرين (الأب والابن)، وهو معطي الحياة، ويزعمون أن هذه الأقانيم شيء واحد[1].

لقد تكلمنا في المبحث الأول من هذا البحث تفصيلا عن ظهور فكرة التثليث، وأنها لم تكن معروفة في حياة المسيح عليه السلام، وأن عيسى عليه السلام دعا إلى التوحيد الخالص كسائر الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى، وأن مفهوم التثليث مخالف لما جاء به المسيح عليه السلام، غير أننا نشير إلى مفهوم التثليث كما يزعم النصارى، فيعرف قانون الإيمان المسيحي التثليث بأنه: الإيمان بإله واحد (الأب والابن والروح القدس)، إله واحد، جوهر واحد، متساوون في القدرة والمجد[2].

وقد حدد ابن حزم اعتراضاته على مزاعم النصارى في مسألة التثليث في مسائل عديدة[3]، نذكر عددا منها فيما يلي:

**الاعتراض الأول**: زعمهم أن الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد أقانيم ثلاثة، وهي: (الأب والابن والروح القدس)، وهذه الأقانيم قديمة، وتعد شيئا واحدا.

**رد ابن حزم**: يرد ابن حزم على هذا الزعم متسائلا إن كانت هذه الأشياء الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) في رأيهم هي قديمة كلها، وهي عندهم شيء واحد، فبأي معنى استحق أن يكون أحدهم يسمى أبا، والثاني ابنا، والثالث روح القدس، وليس روح القدس سواهما، وهذا هو عين التخليط، والإنجيل الذي بأيديهم يبطل هذا القول، فقد ورد في الإنجيل: "سأقعد عن يمين

1 ينظر: المسيح والتثليث، مُحَمَّد وصفي، ص: 105.
2 ينظر: قاموس الكتاب المقدس، منشور على الرابط:-https://st-takla.org/Full-Free-Coptic Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/Kamous-Al-Engeel-index.html
3 ينظر: ابن حزم الظاهري وكتابه الفِصَل، الطاهر بن عريفة، ص: 130-133.

أبي"[1]، وورد في الإنجيل أيضا: "إن القيامة لا يعلمها إلا الأب، وأن الابن لا يعلمها"[2]، وهذا يوجب أن الابن ليس الأب، وأن في الابن نوعا من الضعف أو الحدوث أو النقص به ينحط عن درجة الأب[3].

ويؤكد ابن حزم على هذا الأمر فيذكر إن كان الثلاثة متغايرة –وهم لا يقولون بهذا– فيلزمهم أن يكون في الابن معنى من الضعف، أو من الحدوث، أو من النقص به وجب أن ينحط عن درجة الأب[4].

**الاعتراض الثاني**: زعمهم أن الإله – تعالى شأنه– اتحد مع الإنسان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا لا ينفصلان.

**رد ابن حزم**: يقول ابن حزم أن هذا الكلام في غاية الفساد، وأنه دعوى باطلة، وليس في إنجيلهم الذي بأيديهم شيء من هذا، فالذي لم يزل [الحي الذي لا يموت] لا يستحيل إلى طبيعة الإنسان المحدث، ولا يستحيل الإنسان المحدث إلها[5].

**الاعتراض الثالث**: زعمهم أن المسيح هو الله تعالى، وأنه هو الذي صُلِب ثم قُتِل، وأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر.

**رد ابن حزم**: يرد ابن حزم على هذا الزعم متسائلا: هل يخبرنا أصحاب هذا الزعم من دبر العالم مدة الثلاثة أيام التي كان فيها الإله – جلت قدرته وتعالى شأنه– ميتا كما يزعمون–تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا–[6].

**الاعتراض الرابع**: زعمهم أن (الكلمة) هي المتحدة بالإنسان والملتحمة في مشيمة السيدة مريم العذراء عليها السلام.

**رد ابن حزم**: يتساءل ابن حزم عن ماهية (الكلمة)، فهل هي: (الأب أو الابن أو الروح القدس) أم شيء رابع، فإن قالوا شيئا رابعا خرجوا من التثليث إلى التربيع، وإن قالوا إنها أحد الثلاثة

1 سفر مرقص، إصحاح 16 ، عدد: 19.
2 سفر متى، الإصحاح 11، عدد: 27.
3 ينظر: ابن حزم، الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، ج: 1، ص:113.
4 ينظر: المرجع نفسه: ج: 1، ص: 113.
5 ينظر: المرجع نفسه، ج: 1، ص: 113.
6 ينظر: المرجع نفسه، ج: 1، ص: 112.

سُئِلوا عن الدليل على ذلك، ثم يقال لهم: الأب هو الابن أم هو غيره، فإن قالوا هو غيره سُئِلوا عن الملتحم في مشيمة مريم عليها السلام المتحد مع طبيعة المسيح؛ الأب أو الابن؟ فإن قالوا الابن فقد بطل أن يكون هو الأب[1]، وكذلك في قولهم هذا الادعاء مخالفة لما ورد في سفر (يوحنا) والذي يذكر في أول الإصحاح: "وكان الكلمة هو الله"[2]، فإذا كانت الكلمة هي الله، والكلمة التحمت في مشيمة مريم، فالله –تعالى علوا كبيرا– هو نفسه التحم في مشيمة مريم، وعلى هذا الزعم، فالأب والإبن والكلمة التحموا كلهم في مشيمة مريم.. وأن الإبن هو الذي التحم في مشيمة مريم، وهي وساوس لا نظير لها[3].

**الاعتراض الخامس**: زعمهم أنه لما وجب أن يكون الله سبحانه وتعالى حيا عالما، وجب أن تكون له حياة وعلم، فحياته هي التي تسمى الروح القدس، وعلمه هو الذي يسمى الابن.

**رد ابن حزم**: يرى ابن حزم أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف عن طريق الاستدلال، لكن عن طريق السمع، ولذلك لا يحق للنصارى الاستدلال من الإنجيل أو من غيره من الكتب؛ فالعلم يسمى ابنا رغم ادعاء بعضهم أن ذلك تقتضيه اللغة اللاتينية، وليس في هذه اللغات شيء مما ذكروا، وكذلك؛ فإن كان الابن هو العلم والروح القدس، أَتَرى المسيح هو حياة الله وعلمه، وما بال بعضهم يقولون إن مريم عليها السلام ولدت ابن الله، أَتَراها ولدت علم الله وحياته، أيكون في التخليط أكثر من هذا؟[4].

**الاعتراض السادس**: زعمهم أن المسيح عليه السلام هو الذي صُلِب وقُتِل.

**رد ابن حزم**: يقول ابن حزم ردا على هذا الزعم إن صلب المسيح عليه السلام لم تقله الكافة، وهذا معنى قوله تعالى: (ولكن شُبِّه لهم)، وكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت الذين أنزلوا شبيه المسيح ودفنوه ومنعوا العامة من حضور الدفن تمويها لهم، وبذلك فهم شُبِّه لهم القول، أي أُدخلوا في شبهة منه[5].

ويقدم ابن حزم تفسيرا لهذه المسألة بقوله: إذا كان عدد كثير يمتنع منه الاتفاق في الطبيعة على

1 ينظر: المرجع نفسه، ج: 1، ص: 119.
2 ينظر: سفر يوحنا، إصحاح: 1، عدد:1.
3 ينظر: ابن حزم، الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، ج: 1، ص: 119.
4 ينظر: المرجع نفسه، ج: 1، ص:113-114.
5 ينظر: المرجع نفسه، ج: 1، ص: 119.

التمادي على سنن ما تواطئوا عليه، فأخبروا بخبر شاهدوه ولم يختلفوا فيه.. فهذه صفة الكافة التي يلزم قبول نقلها[1].

## دراسة وتحليل منهج ابن حزم في ردوده على مزاعم النصارى في التثليث:

منهج ابن حزم في عرض الموضوعات إجمالا يبدأ أولًا بذكر الاختلاف الحاصل في كل مسألة يوردها، فهو لا يعرض المسألة فقط بل يناقش أصحابها، ويحتج عليهم، ولربما دمج مناقشة أكثر من مذهب أو مدرسة في موضع واحد؛ لكون الكلام ينطبق على أكثر من حالة كما فعل مثلا مع فرق النصارى في كثير من المسائل، ومنها مسألة التثليث التي هي موضوع هذا البحث؛ فهو لم يلتزم بمنهج معين في بيان القول المختار عنده، فهو تارة يفرد موضعًا خاصًا يصرح فيه برأيه، وتارة يذكر رأيه أثناء المناقشة، وتارة يفرقه في مواضع متعددة، فإذا جُمِعت تبين له ترجيح أحدها[2].

ويعتمد منهج ابن حزم في الاستدلال والرد في مسألة التثليث على الأدلة النقلية والعقلية والحسية، وهو يعول على اللغة العربية، ودلالات الكلمة وسياق الحديث في كثير من الاستدلالات والردود، وهو متأثر في كثير من استدلالاته وردوده بمناهج ومصطلحات المتكلمين مع استقلالية واضحة في الرأي والشخصية، فهو ليس بمجرد ناقل أو مقلد لغيره[3]، وهذا ظاهر وواضح كما في مناقشته للنصارى في اعتراضاته التي أشرنا إليها تفصيلا، والتي هي المحور الرئيس لهذا البحث.

ونشير –على سبيل المثال– إلى ردود ابن حزم على الطوائف المسيحية الثلاثة التي كانت الأكثر أتباعا في زمن ابن حزم وهي: (النساطرة واليعاقبة والملكانية)[4]، وخلاصة رأي ابن حزم في هذه الفرق هو قولهم بالتثليث؛ فاليعاقبة يقولون إن الإله اتحد مع الإنسان، بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا، كالماء يصب في الخمر فيصيران شيئا واحدا، والنساطرة يقولون إن اتحاد الإله مع الإنسان كالماء عندما يلقى في الزيت فلا يتحدان، بل كل واحد منهما باق على حاله، وأما الملكانية فيقولون إن

1 ينظر: المرجع نفسه: ص: 123.

2 ينظر: ابن حزم الكبير، عمر فروخ، ص: 597 وما بعدها.

3 ينظر: نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، عدنان المقراني، ص: 68.

4 الطوائف المسيحية المعاصرة كثيرة، ولكن أبرزها ثلاث: (الكاثوليك والأرثودوكس والبروتستانت). وللمزيد من التفصيل، ينظر قاموس الكتاب المقدس على الرابط: https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/Kamous-Al-Engeel-index.html

اتحاد الإله مع الإنسان كاتحاد النار في الصفيحة المحماة تلتصق ببعضها[1].

ويرد ابن حزم على هذه الآراء ويقول إنها باطلة، بل إنها غاية في الفساد؛ وذلك من وجوه عدة؛ فمن جهة أنه لا يوجد في الأناجيل المعتبرة دليل على هذه الأقوال، ومن جهة أخرى أنها كلها محال[2].

ويجدر بنا في هذا المقام وما يتطلبه سياق البحث العلمي أن نذكر نماذج من الأدلة التي تبطل مفهوم (التثليث)؛ ومن هذه الأدلة أن الأنبياء والرسل جميعهم -عليهم السلام- الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى نادوا بتوحيده سبحانه وتعالى، والأنبياء والرسل كلهم —عليهم السلام- الذين أرسلوا قبل وبعد عيسى عليهم السلام لم يقولوا بالتثليث، بل كل دعواتهم أن الله جلت قدرته واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[3]، وإن عقيدة التثليث كانت بتأثير المعتقدات لدى عدد من الشعوب والحضارات القديمة[4]، ومن الأدلة العقلية التي نذكرها في هذا السياق والمبني على أساس منطقي هو إذا كان الله تعالى شأنه —حسب عقيدة النصارى- واحد في ثلاثة، فماذا حدث له وجزء منه على الصليب، فكيف يكونون ثلاثة في واحد؛ وواحد في السماء، وواحد على الصليب[5]، ومن الأدلة العملية التي تبرهن على إن فكرة التثليث غير صحيحة، أنها تخالف العقل والمنطق والفطرة السليمة، فالتثليث يعني الجمع بين ضدين؛ وزعم النصارى في التثليث ما هو إلا جمع في ضدين؛ لأن الوحدانية تنفي الشرك، فلا يمكن أن تجتمع الوحدانية والشرك في مكان واحد، بل هما ضدان لا يجتمعان كالبياض والسواد، فيتضح للناظر وجود ثلاثة أشخاص في عقيدة النصارى وضوحا بينا؛ وذلك لأنهم نصوا على تميز كل واحد بمميزات خاصة، أما الوحدانية فهي مجرد دعوى غير واضحة، وهي دعوى غير معقولة؛ لأنهم زعموا أن الثلاثة واحد، وهذا ما لا يعقل، ويصدق عليهم وفقا لهذا المفهوم أنهم يعبدون ثلاثة آلهة، ويجعلونها إلها واحدا[6]، والدليل الأعظم والبرهان القوي الذي يفند كل هذه المزاعم قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ

1 ينظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص: 122.
2 ينظر: المرجع نفسه، ص: 123.
3 سورة الإخلاص، الآيات 1-4.
4 ينظر تفصيلا: الحضارة المصرية القديمة، محمد بيومي مهران، ص: 243 وما بعدها.
5 ينظر: حقيقة عيسى المسيح، محمد علي الخولي، ص: 25.
6 ينظر: دراسات في اليهودية والنصرانية، سعود بن عبدالعزيز الخلف، ص: 272.

وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[1].

والقرآن الكريم يوضح في مواضع كثيرة أن المسيح عيسى –عليه السلام– نبي ورسول بعثه الله سبحانه وتعالى برسالة التوحيد، يقول تعالى :﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[2]، ويقول تعالى كذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[3]، ويقول تعالى أيضا :﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[4]، فعيسى – عليه السلام– رسول من رسل الله وظيفته إبلاغ رسالة ربه – سبحانه وتعالى– التي أرسله بها، وأمره بإبلاغها، وهو مرسل إلى بني إسرائيل ليكمل ما جاء به موسى –عليه السلام– وليأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له وطاعته.

ونستعرض في هذا المقام كذلك نصوصا من الإنجيل تثبت نبوته ورسالته عليه السلام، فقد جاء في الأناجيل نصوص عدة، منها: "أما يسوع فقال لهم: ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته"[5]، فهذا ما يصرح به المسيح نفسه بأنه نبي، ومما يوضح هذا الأمر بصورة جلية وأنه نبي من عند الله سبحانه وتعالى ما ورد في الإنجيل: "ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم، وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع؛ لأنه كان عندهم مثل نبي"[6]، وكذلك ما ورد في الإنجيل: "ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل"[7]، فهذه النصوص تدل على نبوة عيسى عليه السلام ورسالته من خلال الأناجيل.

وهناك نصوص أخرى تبين أن رسالة عيسى عليه السلام التي أرسله الله من أجلها هي الدعوة إلى الله وإلى عبادته وطاعته وإبلاغ ما أمره الله أن يبلغه لبني إسرائيل، ولذا يسمَّى عيسى عيه السلام

---

1 سورة النساء، الآية: 171.

2 سورة المائدة، الآية: 75.

3 سورة الصف، الآية: 6.

4 سورة مريم، الآيات: 33-35.

5 سفر متى، إصحاح: 13، عدد: 57.

6 سفر متى، إصحاح: 21، عدد: 45 و46.

7 سفر متى، إصحاح: 21، عدد: 10-12.

في الأناجيل (معلم)، وهي وظيفة الرسل حيث يعلمون الناس الخير، ويبلغونهم دين الله سبحانه وتعالى، والنصوص الدالة على ذلك في الإنجيل كثيرة، منها: "وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"[1]، وما ورد في موضع آخر في الإنجيل: "فقال لهم: إنه ينبغي لي أن أبشّر المدن الأخرى أيضاً بملكوت الله؛ لأني لهذا قد أرسلت"[2]، وجاء في الإنجيل أيضا: "كان يسوع يطوف كل الجليل يعلّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت"[3].

وتتأكد شخصية عيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله، ووظيفته بأنه رسول الله بعثه إلى بني إسرائيل ليعبدوا الله وحده لا شريك له بما جاء في القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام نفسه في قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيء شَهِيد﴾[4]، فعيسى عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم، وكما تدلُّ عليه الأناجيل، نبي ورسول جاء لإبلاغ بني إسرائيل رسالة ربه، وأن يتبعوا كتاب الله الذي أنزله الله عليهم بواسطة عيسى عليه السلام وهو الإنجيل، ثم جاء القرآن الكريم من بعده مصدقا له ومهيمنا عليه؛ والذي ختم الله عز وجل به كتبه، وهو محفوظ من الله –سبحانه وتعالى– من كل تحريف وتبديل وتغيير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والقرآن الكريم الذي هو كتاب هداية قد ذكر فيه –سبحانه وتعالى– كثير من الأديان، مما ينير الأذهان ويفتح أمامها آفاق المعرفة من أجل المقارنة والموازنة، والقرآن الكريم حافل بالعديد من الآيات الكريمة التي تبرز عقد المقارنات بين الأديان، وإن مما لا ريب فيه أن منهج القران الكريم هو الدعوة للتوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى، وهذا ما يجب على الداعية أن يلتزم به، فالقران الكريم يكشف للداعية طرق وأولويات التخاطب مع أصحاب الأديان، ويضع الخطوط العريضة لأسس الحوار مع مختلف الأديان، وهو المنهج الذي سلكه ابن حزم إجمالا، وما ركز عليه في ردوده على مزاعم النصارى في مسألة التثليث بصفة أخص، وهو المنهج العلمي الموضوعي القائم على الدليل والحجة والبرهان.

1 سفر مرقص، إصحاح: 14، عدد:1.
2 سفر لوقا، إصحاح:4، عدد: 43.
3 سفر متى، إصحاح: 4، عدد: 23.
4 سورة المائدة، الآية: 117.

# الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَّد ﷺ، وعلى رسل الله أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن والاه. فهذه خاتمة البحث، وتشمل النتائج والتوصيات، والتي أوجزها في ما يلي:

## أولا: النتائج:

1/ دعوة عيسى عليه السلام هي الدعوة التي يزعم النصارى أنهم أتباعها، وهو أمر خلاف الحقائق الدينية والتاريخية، لأنهم اتبعوا نصرانية محرفة مبدلة، فلم يكن في دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام تثليث ولا صلب ولا فداء.

2/ منهج علماء الإسلام في دراسة الأديان هو منهج علمي منفتح، ومرتكز أساسا على الوحي، ويهدف إلى تأكيد ما جاء في القرآن الكريم، وما ورد في السنة النبوية المطهرة، ونقض كل الأباطيل المنافية للتوحيد الخالص لله –سبحانه وتعالى-.

3/ يبرهن ابن حزم بالنقل والعقل أن الرسل والأنبياء –عليهم الصلاة والسلام- هم بشر بعثهم الله سبحانه وتعالى، ولم يَدَّعوا الألوهية لأنفسهم.

4/ ما يميز ابن حزم أنه يستخدم الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم يستخدم الأدلة العقلية في المحاججة والنقد، مما يجعل من منهجه ذو فائدة كبيرة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لمختلف الناس، كل حسب قدرته واستيعابه وفهمه.

5/ يتضح من خلال ما أوردناه من أدلة نقلية وعقلية إثبات تحريف عقيدة التثليث عند النصارى، وأنها ظهرت بعد رفع المسيح، وأن من وضع قواعدها(بولس)، ومن تبناها ودعمها (قسطنطين) إمبراطور روما في أواسط القرن الرابع الميلادي.

6/ التثليث مقرر في الديانة المسيحية على الوجه الذي ذكرناه في البحث، وأجمع على اعتناقه المسيحيون، غير أنهم مع إجماعهم اختلفوا في أمور فرعية متعددة، وانقسموا إلى طوائف كثيرة، وأعطت كل طائفة لنفسها ــ نتيجة لهذا الاختلاف ــ لقباً خاصاً بها، وجعلت من فرقتها هي المسيحية الحقيقية.

7/ المنهج العلمي الموضوعي القائم على الدليل والحجة من المناهج الذي أن عُرِف كيفية استثمارها، فإنها من أنجح الأساليب في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

**ثانيا: التوصيات:**

1/ إنشاء مراكز بحوث ودراسات علمية متخصصة في دراسات الأديان، مع الاهتمام بدراسة اللغات المرتبطة بالكتب المقدسة عند أصحاب الأديان.

2/ إعادة قراءة أفكار وأراء ابن حزم في دراسة ونقد الأديان، وتقديمها في شكل عصري، وذلك لما تتسم به كتاباته من نقد علمي وموضوعي.

3/ عقد ملتقيات وندوات ومؤتمرات علمية تعنى بما قدمه ابن حزم، والاستفادة من هذه الثروة العلمية في الحقل الدعوي.

والله أعلى وأعلم، وأعز وأكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، والحمد لله رب العالمين.

# المصادر والمراجع


- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.
- الاجتهاد والمجتهدين بالأندلس والمغرب، مُحَمَّد الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.
- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة،، القرافي؛ شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ.
- ابن حزم: حياته وعصره .. آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، مُحَمَّد أبو زهرة، القاهرة، 1977م.
- ابن حزم الظاهري وكتابه الفصل، الطاهر بن عريفة، دار الحكمة، طرابلس.
- ابن حزم الكبير، عمر فروخ، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
- ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، دار المعارف، القاهرة، 1983م.
- إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب، الحموي؛ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993م.
- أسفار التوراة والإنجيل، ترجمة العالم الجديد(الترجمة العربية)، نيويورك، 2004م.
- الإسلام والأديان: دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.
- تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، سيد أحمد علي الناصري، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1991م.
- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة: (من سنة 92-897هـ إلى سنة 711-1492م)، عبدالرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق، 1981م.
- تاريخ ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون؛ عبدالرحمن بن مُحَمَّد الحضرمي، ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير الرازي، الفخر الرازي؛ مُحَمَّد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي مُحَمَّد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، 1420هـ-1999م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري؛ مُحَمَّد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1420هـ-2000م.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، مُحَمَّد بن فتوح أبو عبد الله بن ابي نصر، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م.
- الحضارة المصرية القديمة، مُحَمَّد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984م.
- حقيقة عيسى المسيح، مُحَمَّد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، 1990م.
- دراسات في الأديان الوثنية القديمة، أحمد عجينة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006م.
- دراسات في اليهودية والنصرانية، سعود بن عبدالعزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 2004م.
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي؛ عبدالرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوي القرشي البغدادي، المكتب الإسلامي ودار ابن حزم، بيروت، 2002م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي؛ شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م.
- الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خيّاطة، دار الأوائل، دمشق، 2002م.
- الِفصَل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم؛ أبو مُحَمَّد علي بن أحمد، ، تحقيق: مُحَمَّد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.
- الفكر التاريخي في المغرب الإسلامي، محمود إسماعيل، دار الزمن، الدار البيضاء، 2009م.
- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004م.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية؛ تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية،1995م.
- المسيح والتثليث، مُحَمَّد وصفي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- موسوعة الدرر السنية، منشور على الرابط: https://dorar.net/adyan/337/
- موسوعة قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، منشور على الرابط: https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/Kamous-Al-Engeel-index.html
- الميزان في مقارنة الأديان، مُحَمَّد عزت الطهطاوي، دار القلم، ط1، دمشق، 1993م.
- نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، عدنان المقراني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 2008م.

- نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، حسن حنفي، منشور على الرابط: http://www.maktbtna2211.com/book/15533



مُحَمَّد اوحيدة أحمد اوحيدة (lwhida63@gmail.com)
درجة الليسانس: جامعة قاريونس. بنغازي . ليبيا عام 1987م.
درجة الماجستير: جامعة وارسو. بولندة. عام 1997م.
درجة الدكتوراه: جامعة تشارلز. براغ . جمهورية التشيك. عام 2010م. التخصص: دراسات أديان.
حالياً أستاذ مشارك وعضو هيئة تدريس بالأكاديمية الليبية. مصراتة. ليبيا.
له الكثير من البحوث العلمية المنشورة. منها: التصالح والتسامح والتعايش من منظور إسلامي. والحضور اليهودي والمسيحي في ليبيا. ومدى ارتباط الاستشراق بدراسات الأديان وأثره في الانتاج الفكري عن الإسلام.